

الانزياح الصرفي للمصادر المزيدة ودلالاتها في القرآن الكريم

أ.علي أسودي

جامعة الخوارزمي - إيران

تاريخ الإرسال: 2019-02-18 تاريخ القبول: 2019-04-16 تاريخ النشر: 2019-05-31

الملخص بالعربية:

تتناول هذه المقالة ظاهرة لغوية بارزة وهي الانزياح الصرفي للمصادر المزيدة في القرآن الكريم، بالدرس والتحليل على وفق المنهج الدلالي؛ وأستكاه أسرار التعبير الفني فيه؛ إذ إن كل عدول من مبنى إلى مبنى آخر يؤدي حتماً إلى العدول عن معنى إلى كمنى آخر، ولا سيما إذا ما اتفقت المباني في الجذر اللغوي المشتقة منه تلك المباني، وعلى هذا الأساس تتبين نكتة العدول وسره الدلالي في النص القرآني لقد أشار اللغويون في جملة مباحثهم إلى اختلاف معاني الصيغ في العربية، ولا سيما في مباحثهم الخاصة بالكلام على خصائص العربية ومنها طاقتها التعبيرية الكامنة في مباني صيغها الصرفية وإمكانية دلالتها على معانٍ متعددة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه، فضلاً عن إمكانية تبادلها من سياق إلى آخر حسب إرادة المتكلم لمعناه المقصود وغرضه المطلوب، وعلى هذا الأساس حصل العدول بين صيغ المشتقات في العربية ولا سيما في مستوى اللغة الصرفي، فيما يخصّ تحديداً صيغ المصادر، والمصادر المزيدة لإمكانية تبادلها من سياق إلى آخر على وفق التقارب المعنوي فيما بينها، فضلاً عن التشابه اللفظي بين بعض من صيغها وقد تطرقنا في هذه الدراسة إلى الجانب الدلالي للانزياح في المصادر المزيدة ولذا وصفت هذه الدراسة بكونها

دراسة دلالية، وأتبع هذا المنهج بغية التوصل إلى تجلية دلالات النص القرآني، وتم رصد ملامح جديدة و غضة أوردناها في صميم البحث.

الكلمات الدلالية : الانزياح الصرفي، الدلالة، القرآن الكريم، المصادر المزيدة

The Orientalization of the useful sources and their significance in the Holy Quran

Abstract

This article deals with a prominent linguistic phenomenon, namely, the morphological displacement of the sources of the Holy Quran, by study and analysis according to the semantic method; and the mysteries of artistic expression in it, since every turn from one building to another necessarily leads to a change of meaning to another meaning, What the buildings agreed in the root language derived from those buildings, and on this basis to find the joke of the ablution and its semantic in the text of the Koran The linguists in their statement referred to the different meanings of formulas in Arabic, especially in their own talk on the characteristics of Arabic and expressive energy inherent in buildings And the possibility of their significance to multiple meanings vary according to the context in which they are contained, as well as the possibility of exchanging them from one context to another according to the will of the speaker to its intended meaning and purpose, and on this basis there was a regression between derivatives formulas in Arabic, especially at the level of morphological language, specifically The sources of resources, and the sources of the possibility of exchanging them from one context to another according to the convergence of the moral among them, as well as verbal similarity between some of the formulas We have discussed in this study to the semantic side of the displacement in the sources of the advantage and so this study was described as a study, Approach with a view to reaching a shed light on the implications of the Quranic text, has been monitoring a new and emergent features at the heart of research we have quoted.

key words: the mystical exegesis, the significance, the Qur'an, the abundant sources

أسئلة البحث

1. ما هو دور الانزياح في مجال الاستبدالات الصرفية للمصادر المزيّدة في القرآن؟
2. ما هي دلالات الانزياحات الصرفية للمصادر المزيّدة في القرآن

أهمية البحث

يعدّ الانزياح بثّتي أنواعه من الظاهر الأسلوبية التي تمسّ النصّ القرآني و تعطي دلالتها الخاصة في كل موضع فلا بدّ من رصد الملاح الدلالية لهذه الظاهرة حتى نكشف الدلالات الكامنة في هذه الظاهرة، و من أمثلة هذه الظاهرة الانزياح الصرفي للمصادر المزيّدة حيث يستبدل مصدر آخر محلّ المصدر القياسي المزيّدة، أمر يعتبر في معظم الأحيان مسوّغاً صرفياً للكلام أو استبدالاً جائزاً لغوياً. تهدف هذه الدراسة معالم هذه الظاهرة في القرآن و الكشف عن دلالاته الكامنة بغية الإسفار عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

أولاً - الانزياح عن المصدر:

المصدر مشتق من مادة (ص د ر) وهو اسم مكان يقال : صدرت الابل عن الماء، إذا انصرفت عنه، وعلى هذا الأساس سُمي المصدر مَصْدَرًا، قال الخليل : " المصدر : أصل الكلمة الذي تصدر عنه الأفعال ". (فرايدي، 1410: 7 / 96) وقال الشريف الجرجاني : " المصدر : هو الاسم الذي اشتقّ منه الفعل وصدر عنه " (الجرجاني، 1998: 114)، ومن المعروف أنّ النحاة اختلفوا في المصدر والفعل أيُّهما هو الأصل؛ فذهب البصريون إلى أن المصدر هو الأصل، وذهب الكوفيون إلى أن الأصل هو الفعل. (ابن الأنباري، 2002: 1 / 235 مسألة 28) والشيء المهم أن المصدر يدل على الحدث مجرداً من الزمن في حين يدل الفعل على الحدث مقترناً بزمان .

2 - الانزياح عن الإفعال :

لقد جاءت صيغ كثيرة في القرآن الكريم معدولة عن (الإفعال) وهو المصدر القياسي للفعل الرباعي (أفعل)، ولكن وقع الاختيار على نماذج عدة من هذا النوع من العدول لتعدد صيغها

المعدول إليها، وتتوَّع دلالاتها على وفق ذلك، وهذه النماذج هي: العدول عن الإصلاح إلى الصلح، والعدول عن الإضلال إلى الضلال، والعدول عن الإقراض إلى القرض، والعدول عن الإنبات إلى النبات، والعدول عن الإنشاء إلى النشأة، والعدول عن الإهلاك إلى المهلك .

1.2 الانزياح عن الإصلاح إلى الصُّلح :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (سورة النساء / 128)

وفي (يُصلِحا) قراءتان : الأولى : (يُصلِحًا) من (أصلح) وهي قراءة الكوفيين عاصم وحمزة والكسائي، وهي قراءة أبي عضمرو من البصريين، والقراءة الثانية : (يَصْلَحًا) من (تصلح) وهي قراءة ابن عامر وابن كثير ونافع، والأولى على معنى الإصلاح الذي هو ضد الفساد، وفي معنى القراءة الثانية دلالة التصالح.(الطبري، 2002: 9 / 278؛ الدمياطي البناء، 1407: 194؛ الطبري، 2002: 5 / 260؛ احمد مختار، 1412: 2 / 167) والراجح أنَّ في معنى (الصلح) : التصالح، وهو أن يتصالح الرجل والمرأة على أن تطيبَ له نفساً على القسمة، او عن بعضها.(نفر رازي، 1415: 1 / 571؛ النسفي، 1407: 1 / 252) وقد تراجع عند ابن عطية دلالة (صُلْحًا) أهو على المصدرية أم على الإسمية، والصحيح أنَّه مصدرٌ انتقل إلى معنى الإسمية، فالصُّلْحُ لفظ عامٌّ مطلق، وهو ما تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف.(ابن عطية، 1380: 4 / 247 - 248) ومجيء (صلحاً) معدولاً به عن (الإصلاح) الذي هو المصدر المقيس للفعل (يُصلِح) للدلالة على إرادة المعنيين الصلح والإصلاح، إذ لا يمكن تصور وجود صلح من دون إصلاح يسبقه، والإصلاح مستعمل في التنازع والتشاجر، قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (سورة النساء / 114) (نفر رازي، 1415: 11 / 67؛ الطبري، 2002: 5 / 260) فالصلاح بمعنى الإصلاح (البضاوي، 1409: 2 / 120؛ البابي، 1330: 2 / 120)، إذ إنَّ التقدير : (أن يُصلِحا بينهما إصلاحاً)، ونكتة العدول عن (إصلاحاً) هي أنه لما كان المأمور به يحصل بأقل ما يقع عليه اسم الصلح بُني المصدر على غير القياس، فجاء

من الفعل المجرد (يُصلح) وهو (الصلح)، ويحصل بأن تلين المرأة فتترك بعض المهر أو بعض القسم أو نحو ذلك، وأن يلين لها هو بإحسان العشرة في مقابلة ذلك (العزاوي، 1424: 5 / 422). هذا فضلاً عن أن (الصلح) لا يحصل إلا بعد إصلاح، فجاء العدول للدلالة على المعنيين .

2.2 الانزياح عن الإضلال إلى الضلال :

قال تعالى في وصف المنافقين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء / 60) . في قوله تعالى : ﴿ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا ﴾ عدول عن القياس؛ ولهذا فإنَّ (ضلالاً) انتصب " على المعنى أي فيضلون ضلالاً " (القرطبي، 1372: 5 / 171)، قال أبو حيان : " ضلالاً ليس جارياً على يُضِلُّهُمْ فيحتمل أن يكون جعل مكان إضلال، ويحتمل أن يكون مصدراً مطاوع يضلهم أي فيضلون ضلالاً بعيداً " (ابوحيان، 1420: 3 / 280)، فأبو حيان يرى أن ضلالاً في الآية يحتمل أن يكون مصدراً لفعل محذوف مطاوع أضلّ، أي يريد الشيطان أن يضلهم فيضلون ضلالاً بعيداً . والأرجح أنه معدول عن القياس (إضلال)، وأما ضلال فهو مصدر

(ضلّ)، قال تعالى : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (سورة النساء / 116) " والمعنى : أن الشيطان يريد أن يضلّهم ثم يريد بعد ذلك أن يضلّوا هم بأنفسهم، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتونها، فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب، يريد أن يطمئن إلى أنّهم يقومون بمهمته هو " . (السامرائي، 1429: 2 / 589؛ السامرائي، 1428: 36)

2.3 - العدول عن الإقراض إلى القرض :

قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة البقرة / 245) .

قال الطبري : " إنّما سمّاه الله تعالى ذكره قرضاً، لأن معنى القرض : إعطاء الرجل غيره ماله مملّكاً له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه؛ فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله،

وإنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة سَمَّاه قرضاً، إذا كان معنى القرض في لغة العرب ما وصفناه " (جامع البيان، 1372 : 2 / 592) إذ القرض في اللغة القطع ثم سُمِّي قطع المكان وتجاوزه قَرْضاً، ثم سُمِّي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردِّ بدله قرضاً. (المفردات : ص 666) قال القرطبي : " القرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء، وأقرض فلانُ فلاناً أي أعطاه ما يتجاوزه، أصله القطع، ومنه المقرض وأقرضته قطعتُ له من مالي قطعة يُجَازى عليها، وانقرض القوم : انقطع أثرهم وهلكوا ". (القرطبي، 1372 : 3 / 156) والقرض اسمٌ معدولٌ به عن المصدر المقيس للفعل الرباعي (أقرض)، أو كما عبّر أبو حيان بأنه اسم أُقيم مقام المصدر الإقراض. (الأندلسي، 1328 : 3 / 444) وإنما قام القرض مقام الإقراض لمعنى مقصود وهو إرادة معنى (القرض) وهو : اسلاف المال بنية إرجاع مثله، ثم أطلق مجازاً على البذل لأجل الجزاء، ومنه بذل النفس والجسم رجاء الثواب، إذ ان المعنى معنى الإقراض فعل القرض وهو السلف. (ابن عاشور، 1969 : 2 / 245) فالمراد إذن بذل القرض وليس فعل القرض، فعُبر عن نتيجة الإقراض وهي بذل القرض، فلما لم يكن فعل القرض وهو الإقراض مراداً عدل عنه إلى القرض الذي " هو بذل شيءٍ ليرد مثله أو مساويه ". (ابن عاشور، 1969 : 2 / 246)

2. الانزياح عن الإنبات إلى النبات :

قال تعالى في حق مريم (عليها السلام) : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (سورة آل عمران 37/). قال الطبري : " معناه : وأنبتتها ربّها في غذائه وورزقه نباتاً حسناً " (الطبري، 1372 : 6 / 344)، وهي في الحقيقة، " مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها " (نخر رازی، 1415 : 1 / 358) من بركة هذا النبات الحسن الذي أنبتّها الله أيّاها في الدنيا أنها تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام واحد، وأما في الدين فلأنّها تنبت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة (نخر رازی، 1415 : 8 / 31) ويلحظ في ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا ﴾ مجيء (أفعل) في (وأنبتّها) ومجيء مصدر الثلاثي (نَبَت) وهو (النبات) في (نباتاً) وذلك من الإعلام " بكال الأمرين من إمدادها في النمو الذي هو غيب عن العيون وكما لها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر

للعين، فَكُلَّ في الانبات والوقوع حسن التأثير وحسن الأثر، فأعرب عن إنباتها ونباتها معنىً حسناً" (الغزاوي، 1424: 4 / 356)

عزا ابن عاشور العدول عن الإنبات إلى النبات لكون (نباتاً) أخفّ من (إنباتاً)، " فلما تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كلاً في الفصاحة " (ابن عاشور، 1969 : 27 / 204)، وهو تعليل لفظي، والصحيح إنّ العلة في العدول معنوية وهي كون " الانبات إنما ينظر فيه إلى صنع الله عزّ وجلّ وهو خفيّ، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه، والامتنان على عباده بنعمه " (هنداوي، 1424 : 168)

وقد ورد هذا النوع من العدول في سورة نوح، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (سورة نوح 17/) وقد أشار الرازي إلى سر العدول عن القياس في هذه الآية قال وفيه " دقيقة لطيفة وهي أنه لو قال إنباتاً كان المعنى أنبتكم إنباتاً عجيباً غريباً، ولما قال أنبتكم نباتاً كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتاً عجيباً، وهذا أولى لأن الإنبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب، وهذا المقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فلا يمكن اثباته بالسمع، وأما لما قال : ﴿ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ على معنى أنبتكم فنبتم نباتاً عجيباً كاملاً كان ذلك وصفاً للنبات بكونه عجيباً كاملاً، وكون النبات كذلك أمراً شاهداً محسوساً، فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقاً لهذا المقام؛ فظهر أن العدول من تلك الحقيقة كان لهذا السرّ اللطيف " (نخر رازي، 1415 : 30 / 140)

2. 5 - الانزياح عن الإنشاء إلى النشأة :

قال تعالى على لسان ابراهيم (عليه السلام) وهو يخاطب قومه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة العنكبوت / 20) .

قال الزمخشري : " إنهما نشأتان، وإن كل واحدة منها إنشاء، أي ابتداء واختراع، وإخراج من العدم إلى الوجود، لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست

كذلك" (نفر رازی، 1415 : 3 / 448؛ صديق حسن خان، 1429: 10 / 179). فالمعنى اللغوي للنشئ: إحداث الشيء وتربيته، وأكثر ما يُقال في حدوث الشيء شيئاً فشيئاً، قال تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (سورة الرعد / 12) أي: يكون حدوثه في الهواء شيئاً فشيئاً، والانشاء: إيجاد الشيء وتربيته. (راغب اصفهاني، 1412: ص 807) والنشأة: مصدر مُؤَكَّد لِيُنشِئُ، إذ الأصل (إنشاء). (ابوالسعود، 1983: 7 / 35) وقد جاء (النشأة) معدولاً به عن القياس للدلالة على كون المراد ليس حقيقة الإنشاء وهو الإيجاد والإحداث للشيء ومراعاته شيئاً فشيئاً على التدرج، وإنما يراد نتيجة هذا الإنشاء، وهي الصورة المتحصلة منه، والحالة الكائنة إليه، فالصورة والحالة التي يكون فيها الإيجاد (نشأة) بعد انشاء، فضلاً عن كونها نشأة واحدة؛ ولذا "عبر عنها بصيغة المرة لأنها نشأة دفعية تخالف النشأ الأول" (ابن عاشور، 1969: 20 / 231)

2.6 الانزياح عن الإهلاك إلى المهلك :

جاء هذا النوع من العدول في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (سورة الكهف / 59) .

في الآية عدول عن القياس؛ إذ القياس أن يكون (وجعلنا لإهلاكهم) هذا على المصدر الاصيل، أما على المصدر الميمي فكان ينبغي أن يكون القياس (لِمَهْلِكِهِمْ) وعليها جاءت قراءة الحجاز والعراق، وهي التي عدّها الطبري أولى بالصواب من قراءة عاصم (لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم واللام. (طبري، 2002: 15 / 270؛ الدميّطي، 1407: 292؛ ابن خالويه، 1399: 227؛ ابن مجاهد، 1429: 393؛ ابن الجزري، 2009: 2 / 311؛ احمد مختار، 1412: 3 / 378 - 379) ولكن الذي يرحح قراءة حفص عن عاصم (مَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم وكسر اللام لأنه " قيل: (أهلكناهم) وقد قال قيل: (وتلك القرى) لأن الهلاك إنما حلّ بأهل القرى، فعاد إلى المعنى، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ " (القرطبي، 1372: 15 / 270) هذا فضلاً عن كون الفعل إذا كان من باب (ضرب) يأتي المصدر الميمي منه على (مَفْعَل) بكسر العين، ويأتي اسماً الزمان والمكان على (مَفْعَل) بفتح اللام. (ابن مالك، 1379: 4 / 2246) ولما كان (هلك) من باب (ضرب) جاء المصدر الميمي منه على القياس وهو (مَهْلِك)، وهو في الحقيقة معدول عن

المصدر المقيس (إهلاك)، قال الزمخشري: "أي: فضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه". (نفر رازی، 1415: 3 / 7)

والنكتة في العدول عن (الإهلاك) إلى (المهلك) أي العدول عن المصدر القياسي ل (أهلك) إلى المصدر الميمي للدلالة على أنّ الهلاك الذي حلّ بهم لم يحصل إلّا بعد إهمالٍ ليكونوا إلى التوبة أقرب، إذ ليس المراد التعبير عن الإهلاك ذاته، بل المراد التعبير عن الهلاك الذي سيحلّ بأهل القرى، إن لم يتوبوا، هذا فضلاً عن كون الإهلاك يكون في الدنيا، والمهلك يكون في الآخرة، أي: فأهلكناهم في الدنيا لما ظلموا أي وقت أن ظلموا ثم جعلنا لمهلكهم في الآخرة موعداً وهو يوم القيامة، بحيث جعلنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم. (البيضاوي، 1409: 3 / 146؛ سليمان بن عمر، 1417: 3 / 32)

3. الانزياح عن التفعيل:

جرى البحث في ثلاثة نماذج على هذا النوع من العدول وهي: العدول عن التفعيل إلى الاستعجال، والعدول عن التسميات إلى الأسماء، والعدول عن التكذيب إلى الكذاب، وهذه النماذج إنّما تُعبّر عن دلالات متعددة ومتنوعة، أشير إليها في كل نموذج على حدة.

3.1 الانزياح عن (التعجيل) إلى الاستعجال:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة يونس/ 11).

إذ القياس أن يكون على (تعجيل) "فوضع" ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم واسعافه بطلبهم، حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم" (ملا حويش، 1390: 2 / 331؛ نفر رازی، 1415: 17 / 51)، ومعناه أنّ الله تعالى لو أجاب دعاء الناس بالشر لما لهم فيه مضرة ومكروه في نفسٍ أو مال أو ولد مثل ما يريدون فعله معهم في إجابتهم إلى الخير لأهلكهم. (ابن عاشور، 1412: 7 / 113؛ صديق حسن خان، 1429: 6 /

(24) قال الرازي : " إنَّ كلَّ من عَجَّل شيئاً فقد طلب تعجيله، وإذا كان كذلك، فكل من كان معجلاً كان مستعجلاً، فيصير التقدير، ولو استعجل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير إلا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة وصفهم بطلبها لأن اللائق به تعالى هو التكوين واللائق بهم هو الطلب". (نفر رازی، 1415 : 17 / 51) فيكون : " التعجيل من الله، والاستعجال من العبد" (الطبري، 2002 : 8 / 22)، وذلك لأن " مدلول عَجَّل غير مدلول استعجل لأن عَجَّل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذاك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم" (سليمان بن عمر، 1417 : 2 / 336)، أي أن الاستعجال مضاف إلى الخلق .

فتبيّن بذلك أنَّ العدول عن القياس وهو (التعجيل) إلى (الاستعجال) للدلالة على الطلب والمبالغة الكامنة في صيغة (استفعل)، المنسجمة مع السياق في محاكاة الطبيعة البشرية، قال تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (سورة الأنبياء / 37)، وعلى هذا الأساس " ذكر في جانب الشرِّ (يُعَجِّل) الدال على أصل جنس التعجيل ولو بأقل ما يتحقق فيه معناه، وعبر عن تعجيل الله الخير لهم بلفظ (استعجالهم) الدال على المبالغة بما تفيد زيادة السين والتاء لغير الطلب إذ لا يظهر الطلب هنا" (ابن عاشور، 1415 : 11 / 107)، بل إنَّ معنى الطلب باقٍ في صيغة (استفعل) وهذا المعنى فيها وإن دلت على معنى آخر فرعي . فيكون المعنى : لو أن الله يُعَجِّل لهم الشرَّ مثلما هم يبالغون في طلب استعجال تحقيق الخير ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ أي : أهلكوا .

2.3 الانزياح عن التسميات إلى الأسماء :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (سورة النجم / 23) إذ القياس (تسميات) لأنه إذا كان الفعل مضعفاً من المنقوص (سَمَّى) كان المصدر المقيس (تفعله)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ (سورة النجم / 27)، فهذه الأسماء مقصود بها الآلهة التي كانوا يعبدونها، وهي : اللات والعزى ومناة، وهي في الحقيقة أسماء لا مسميات تحتها، فما هذه المنحوتات " إلاَّ أسماء سَمَّيْتُهَا بهواكم وشهوتكم، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به" (ملا حويش، 1390 : 4 / 423) إنما هي تسميات مجردة من أي واقع، قال ابن عطية : " أي تسميات اخترعتموها أتم

وآبائكم، لا حقيقة لها، ولا أنزل الله تعالى بها برهاناً ولا حجة". (ابن عاشور، 1415: 14 / 105)

ومجيء لفظ (أسماء) معدولاً به عن (تسميات) مشكلاً لأن أسماء لا تُسمى وإنما يُسمى بها، وفيه جوابان: لغوي، ومعنوي، وأما اللغوي وهو أن التسمية وضع الاسم، فيكون المعنى: أسماء وضعتموها، يقال: سَمَّيْتُهُ زيداً وسَمَّيْتَهُ يزيد، فسميتموها بمعنى سَمَّيْتُمْ بها. وأما المعنوي فهو أنه لو قال (أسماء سميتهم بها) لاستدعى ذكر مفعول آخر على نحو قولهم: سَمَّيْتُ يزيدَ ابني، فعندها سيكون قد صار للأصنام اعتباراً وراء أسماءها. (نخر رازی، 1415: 28 / 300) فالأسماء ألقاظ، والمسميات معاني، والتسميات إطلاق ألقاظ على المسميات ذوات المعاني، قال أبو حيان: "ومعنى الأسماء أي ألقاظ أحدثوها أتم وآبائكم فهي فارغة لا مُسميات تحتها". (الأندلسي، 1328: 5 / 310) فهي في الحقيقة حجارة نُحِتَتْ وسُمِّيت آلهة. (الطبري، 2002: 17 / 680) وليس فيها شيء من معنى الآلوهية أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء، أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون الآلات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها، والعزى لعزتها، ومناة لا اعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين" (البيضاوي، 1409: 4 / 173). وبذلك تبين أن سبب العدول عن (التسميات) إلى (الأسماء) لإرادة الوصف الدقيق لواقع تلك الأصنام بأنها مجرد ألقاظ لا مدلولات لها، إذ إن "المراد بالمسميات مدلولات الأسماء سواء أكانت جواهر أم أعراضاً أم معاني أم معنوية". (المالكي الخلوئي، 1421: 1 / 20)

3.3 - الانزياح عن التكذيب إلى الكذاب :

قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ (سورة النبأ / 28) . والمقصود بهؤلاء المكذبين مشركو قريش؛ لأنهم كذبوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرغم من وضوح الآيات التي جاء بها، وفي ﴿ كِذَابًا ﴾ قولان، أولهما: قول البصريين في كون (كِذَابًا) مصدر (كذب) الرباعي، موازناً لمصدر (أفعل) الذي هو الإفعال، ومثله فاعل فعلاً. (الأخفش، 1422: 2 / 525؛ الطبري، 1372: 30 / 16) وثانيهما: قول الكوفيين في كون (كِذَابًا) لغة يمانية فصيحة، فيقولون: خَرَقْتُ القميصَ خِرَاقًا. (الفراء، 2010: 3 / 229؛ الطبري، 16 / 30؛ ابن عاشور،

1415 : 15 / 290) ولكن الذي يبدو أنَّ (الكِذَّاب) مصدرٌ معدولٌ به عن القياس وهو (التكذيب)؛ إذ لكل فعلٍ مزيدٌ مصدرٌ مقيسٌ لا يتخلف، فلا يكون العدول عن المصدر القياسي إلاَّ لمعنى، ومجيء (الكِذَّاب) معدولاً به عن (التكذيب) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ للدلالة: "على أنهم كَذَّبُوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن، وذلك يدل على كمال حال القوة النظرية في الرداءة والفساد والبعد عن سواء السبيل". (نفر رازی، 1415 : 31 / 18) فيكون معنى (كِذَّاباً): التكذيب الكبير الشديد. (القرطبي، 1372 : 19 / 118؛ صديق حسن خان، 1429 : 15 / 39) فضلاً عن تضمنه معنى كَذَّبُوا؛ لأن كل مُكذِّب بالحق كاذب؛ لأنَّهم كانوا عند المسلمين كاذبين، وكان المسلمون عندهم كاذبين فينبهم مكاذبة" (الطبري، 2002: 19 / 119)، وهذا هو السر في إقامة (الكِذَّاب) مقام التكذيب (البيضاوي، 1409 : 4 / 240) "ويجوز أن يكون الكِذَّاب للمبالغة وصفاً لمصدر محذوف فالمعنى تكذَّياً بالغاً ذلك التكذيب إلى نهاية الكذب". (الكازروني، 1330: 4 / 240)

4 - الانزياح عن التفعيل إلى التفعلة :

وردت ثلاث صيغ معدولة من التفعيل إلى التفعلة في القرآن الكريم وهي : (تبصرة، وتحلة، وتذكرة) والقياس : التبصير، والتحليل، والتذكير؛ لأنَّ القياس في (فَعَّل) الصحيح (التفعيل) وفي (فَعَّل) المعتل الناقص (التفعلة)، فتكون تلك قد جاءت عدولاً عن القياس قياساً على صيغة (التفعلة) القياسية للأفعال المعتلة الناقصة التي على وزن (فَعَّل) نحو: وصَّى توصية، وغطَّى تغطيةً.

4. 1 - الانزياح عن التبصير إلى التبصرة :

ورد هذا النوع من العدول في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (ق / 7 - 8) .

والعدول في (تبصرة) كونها مصدر الفعل الصحيح (بَصَّرَ) والقياس فيه (تبصيراً)، وقد جاء المصدر (تبصرة) عدولاً عن القياس، وهو بمعنى التبصير الذي هو : التعريف بحاسة البصر، قال تعالى : ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصِرُونَهُمْ﴾ (سورة المعارج / 10 - 11) "أي : يعرفونهم" (ابن قتيبة، 1398 : 485) فالله يُبْصِرُ الحميم الحميم حتى يعرفه (الطبري، 2002 : 29 /

(73)، فيكون التبصير: التعريف بالبصر. (هلال علي محمود، 2000 : 228) ولكن في معنى التبصرة : التبصير، " أي : تبصيراً وتبيناً . يقال : بصّرتُه تبصيراً وتبصرةً، كما يقال : قدّمته تقدّماً وتقدّمةً، وذكّرتُه تذكيراً وتذكّرةً". (راغب اصفهاني، 1412 : 128) إلاّ أنّه في معنى التبصرة دلالة يُرجّحها السياق وهي دلالة كون هذا التبصير لمرة واحدة؛ إذ هو خاص بكل عبدٍ منيب، فضلاً عن معنى التفعلة الذي هو ما يؤدي إلى الشيء، فيكون معنى التبصرة : ما يؤدي إلى الإبصار. (السامرائي، 1428: 39)

4. 2 - الانزياح عن التحليل إلى التحلة :

قال تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة التحريم / 2)

نزلت هذه الآية بعد أن حرّم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسه زوجه أم ابراهيم مارية القبطية فلم يقربها حتى أخبرت عائشة (السيوطي، 1422: 1 / 217)، فأنزل الله قوله مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة التحريم / 1) . وفي شرع الله بعد تحريم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحلة الأيمان وهي الحنث في القسم إلاّ إذا كان في معصية، وتحلة مصدر الفعل (حلّ) نحو: كرم تكرمه. (أبو حيان، 1420 : 8 / 288) وهو " ليس مصدر مقيساً، والمقيس التحليل والتكريم، لأن قياس (فعل) الصحيح هو التفعيل " (ابو حيان، 1420 : 8 / 288؛ آلوسی، 1998 : 28 / 148) ومجيئه معدولاً إلى تحلة للدلالة على خصوصية في هذا التحليل، وهو كونه خاصاً بتحليل اليمين، وهو كفارة القسم، فضلاً عن كون معنى صيغة التفعلة ما يؤدي إلى الشيء، فيكون معنى ﴿ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ : ما يؤدي إلى تحليلها بالكفارة .

رابعاً - الانزياح عن المفاعلة :

جاءت ثلاثة نماذج على هذا النوع من العدول وهي : العدول عن المجازاة إلى الجزاء، والعدول عن المجاهدة إلى الجهاد، والعدول عن المعاهدة إلى العهد، وسنتناول العدول عن المبايعة إلى البيع، والعدول عن المعاهدة إلى العهد، لأنه عدول من الوضوح بمكان .

1 - الانزياح عن المبايعة إلى البيع :

جاء هذا النوع من العدول في موضع واحد في سورة التوبة، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة / 111)

العدول حاصل في المخالفة بين مصدر الفعل (بايع) الذي هو المبايعة والحجيء بمصدر الفعل (بايع) الذي هو البيع، فصار الكلام بايع بيعاً وفي هذا العدول نكتة دلالية وهي الإشعار بكون هذا البيع ليس كأبي بيع الذي هو بمعنى "إعطاء المثلث وأخذ الثمن" (راغب اصفهاني، 1412 : 155)، ولكن المقصود بالبيع في الآية المبايعة، لأن بايع الذي على وزن (فاعل) لم يأت في القرآن الكريم إلا للدلالة على البيعة، وهي عهد بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المؤمنين لبذل الطاعة. (هلال علي محمود، 2000 : ص 170) ومجيئه معدولاً عن المبايعة إلى البيع للإشعار بكون هذا البيع مغايراً لسائر البيوع فإنه بيع للفاني بالباقي. (أبي السعود، 1983 : 3 / 196)

2 - الانزياح عن المعاهدة إلى العهد :

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَلِمَةً عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة البقرة / 100)، وهذه الآية وصف لليهود في نقضهم الوعد، ومن ذلك تكذيبهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنه قد أخذ الله منهم العهد في تصديقه، قال الله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْكِتَابَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة / 101) .

و(العهد) معدولٌ به عن (المعاهدة) وإن كان أقرب إلى الأسمية منها إلى المصدرية؛ ولذا قيل : هو اسم مصدر وليس بمصدر، وقد جاء نصبه على أنه مصدر، أو تضمّن (عاهد) معنى (أعطى). (ابن عاشور، 1415 : 1 / 412؛ آلوسي، 1998 : 1 / 324؛ أبي السعود، 1983 : 1 / 135) والصحيح أنه مصدر انتقل معناه من المصدرية إلى الإسمية، فالعهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، من قولهم : للمطر: عهدٌ، وعهكاد، وللروضة التي أصابها المطر روضة

معهودة، على اعتبار معنى التفقد والمراعاة، ومنه سُمِّي المَوْثِق الذي يلزم مراعاته وحفظه عهداً. (راغب اصفهاني، 1412: 591-592) والعهد المقصود هو العهد الذي كان بينهم وبين الله تعالى، كان قد أخذه عليهم إن خرج النبيّ العربيّ آمنوا به، وأخرجوا المشركين من ديارهم، وأن لايعينوا أحداً من الكافرين عليه، ولكنهم نقضوا العهد، مع ما أظهر الله " من الدلائل الدالة على نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى صحة شرعه، " فكان ذلك كالعهد منه سبحانه وقبولهم لتلك الدلائل كالمعاهدة منهم لله سبحانه وتعالى " (نخر رازي، 1412 : 3 / 183)، وسمة نقض العهود والغدر سمة اليهود، وفي ذكر ذلك تسلية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن من يُعتاد منه طريقة معينة، لا يكون فيه صعوبة على النفس من مخالفتها، كصعوبة من لم تجد عادته بذلك. (النيسابوري، 1416 : 344/1)

وقد عدل عن القياس للدلالة على كون هذا الموثق المأخوذ عليهم عهداً لازماً للحفظ والرعاية في ذمتهم، فلا مجال لديهم لنقضه، فهو ليس بمعاهدة وإنما هم عاهدوا أي تكفلوا بحفظ عهد واحد من العهود ورعايته وهو الإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أخذ عليهم هذا العهد في التوراة حتّى سميت التوراة بالعهد؛ قال ابن عاشور : " والمراد بالعهد عهد التوراة أي ما اشتملت عليه من أخذ العهد على بني اسرائيل بالعمل بما أمروا به أخذاً مكرراً حتّى سُميت التوراة بالعهد، وقد تكرر منهم نقض العهد مع أنبيائهم ومن جملة العهد الذي أخذ عليهم، أن يؤمنوا بالرسول المصدّق بالتوراة " (ابن عاشور، 1415 : 1 / 100)

ولعلّ في العدول عن المعاهدة إلى العهد سرّاً لطيفاً وهو أنّ النقض الذي نقضوه هو العهد ذاته، فكأنهم ناقضين لحقيقة العهد بحيث لا يؤمنون بوجود عهد أصلاً؛ ولذا عبّر عن عد اعتقادهم به بقوله تعالى : ﴿ نَبَذَهُ ﴾ ومعنى النبذ " إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الإعتداد به، ولذلك يقال : نبذته نبذ النعل الخلق " (راغب اصفهاني، 1412 : ص 788) وقطعاً فالمعاهدة هذه ليست كالعهد، فهم يدخلون في المعاهدة ولا يلتزمون بالعهد، وينبغي التنبيه على أنّ من العلماء من أعرب (عهداً) هنا مفعولاً به، على اعتبار أن معنى عاهدوا أعطوا (سليان بن عمر، 1417 : 1 / 84)، ولذلك قيل إن (عهداً) هنا أقرب إلى الاسمية .

خامساً - الانزياح عن التفاعل :

تناول هذا المبحث ثلاثة نماذج من العدول في هذا النوع وهي : العدول عن التداين إلى الدين، والعدول عن التعالي إلى العلو، والعدول عن التواعد إلى الميعاد، وهذه هي النماذج التي وردت في القرآن الكريم .

1 - الانزياح عن التداين إلى الدين :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (سورة البقرة / 282) .

ومجيء (دَيْن) معدولاً به عن (التداين) لأنه هو المصدر القياسي للفعل، (تداين) للتأكيد على رأي الأخفش (ت 215 هـ) لأن (تداينتم) يدل على وجود الدين نحو قول رؤبة :

دايَنْتُ أروى والديون تُقْضَى فَطَلْتُ بَعْضاً وَأَدَّتْ بَعْضاً

فلم يقل : دايَنْتُ أروى بدين (الأخفش، 1422: 1 / 189؛ ملا حويش، 1390: 1 / 324؛ ضاحي، 2008: ص 79) وقيل إنَّ ذكر (بدين) لبيان حكم الدين دون حكم المجازاة؛ لأن من العرب مَنْ يقول : : تداينا بمعنى تجازينا، وبمعنى تعاطينا الأخذ والإعطاء بدين (القرطبي، 1372: 6 / 46؛ ابن عاشور، 1415: 2 / 500) ويكون بمعنى : إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه، فضلاً عن بيان نوعه بين كونه حالاً أو مؤجلاً . (ملا حويش، 1390: 1 / 324) فذكر (بِدَيْنٍ) لتخصيص معنى (التداين) للمعاملة بالدين؛ لأنَّ التداين والمداينة تدل على المجازاة والمعاطة، وإن كان في معنى الدين الأخذ والعطاء. (النسفي، 1408: 1 / 135)

كما أنَّ معنى التداين : " بيع الدين بالدين وهو باطلٌ، فلو قال : إذا تداينتم لبقى النص مقصوراً على بيع الدين بالدين وهو باطل، أما لما قال ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ﴾ كان المعنى : إذا تداينتم تدايناً يحصل فيه دين واحد، وحيثُ يُخْرَجُ عن النص بيع الدين بالدين، ويبقى بيع العين بالدين، أو بيع الدين بالعين فإنَّ حاصل كل واحد منهما دين واحد لا غير" (نفر رازی، 1412: 7 / 17)، إذ ان الدَيْن في الشرع " عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة

نسيئة، فإنّ العين عند العرب ما كان حاضراً والدين ما كان غائباً" (الطبري، 2002 : 3 / 243؛ حسن صديق خان، 1429 : 2 / 146)

إذن فالعدول عن (التدائن) إلى (الدين) لنكّة دلالية نبّه عليها البيضاوي بقوله : "وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التدائن المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجّل والحالّ وأنه الباعث على الكتابة". (البيضاوي، 1409 : 1 / 269؛ أبي السعود، 1983 : 1 / 269)

2 - الانزياح عن التعالي إلى العلوّ :

قال تعالى في تنزيه ذاته العلية: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء 43/44) وذلك في معرض الردّ على الكافرين، قوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء 42 / 43) .

فالعدول حاصل في (تعالى علوّاً) وليس (تعالياً) فهو عدول عن القياس، إذ جاء مصدر (تعالى) علوّاً وليس تعالياً. (الأخفش، 1422 : 2 / 390) والمراد المبالغة في البراءة والنزاهة ممّا وصفوه به جلّ في علاه . (ملا حويش، 1390 : 2 / 669) قال البقاعي : " و﴿تَعَالَى﴾ أي علا وعظم العلو بصفات الكمال ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من هذه التقائض التي لا يرضاها لنفسه أحد من عُقلاء خلقه، فضلاً عن رئيس من رؤسائكم، فكيف بالعليّ الأعلى" (العزاوي، 1424 : 11 / 422-423) والنكّة في العدول عن المصدر المقيس (تعالياً) إلى مصدر الفعل الثلاثي (علوّاً) لإرادة تحقيق المعنيين، معنى المبالغة في (تعالى)، ومعنى التجرد في (علوّاً) إذ إنه قد " أتى بالمصدر المجرد في قوله (علوّاً) إيذاناً بأنّ الفعل مجرد في الحقيقة وإن أتى به على صيغة التفاعل إيذاناً بالمبالغة"، (نظم الدرر : 11 / 423) فبجيء (علوّاً) إذن معدولاً به عن (التعالى) " للدلالة على أن التعالي هو للاتّصاف بالعلوّ بحق لا بمجرد الادّعاء". (ابن عاشور، 1415 : 20 / 23)

3 - الانزياح عن التواعد إلى الميعاد :

قال تعالى : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافٍ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (سورة الأنفال 42 / 43) .

نزلت في معركة بدر، يخاطب فيها الله المؤمنين بأنّه " لو كان اجتماعكم في الموضع الذي اجتمعتم فيه، أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين، عن ميعاد منكم ومنهم ﴿ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ لكثرة عدد عدوكم، وقلة عددكم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ وذلك القضاء من الله كان نصره أوليائه من المؤمنين بالله ورسوله، وهلاك أعدائه وأعدائكم بيد بالقتل والأسر" (القرطبي، 1372 : 13 / 565) فالخلاف الحاصل سيكون في الميعاد أي لاختلفتم في زمان القتال، حتى وإن " أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال ﴿ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾، أي لتختلفتم عن الميعاد أي المواعدة أي التواعد بمعنى أنكم لم توفوا بما أعلمتم به بل تختلفون عن الخروج، فالميعاد معناه التواعد" (سليمان بن عمر، 1417 : 1 / 246)، والميعاد في اللغة : المواعدة ووقتها ومكانها. (عبد القادر الرازي، 1953: 700؛ ابن منظور، 1363: 4 / 478) وبذلك يتبين أنّ الاختلاف يكون في زمان المواعدة، وليس الاختلاف في أنهم يتواعدون أم لا يتواعدون، ولذا قيل : إنهم لو تواعدوا القتال بعدما علم كل طرف حال الطرف الآخر لحدث الاختلاف في الميعاد هيبة من العدو ويأساً من الظفر عليهم). (ألوسي، 1997: 10 / 7)

إذن فالعدول عن التواعد إلى الميعاد للدلالة على أن المراد زمان الوعد، لا حقيقة التواعد، فالمراد زمان وقوع الحدث، وهو التواعد، لا وقوع الحدث مجرداً من الزمان؛ ولذا ورد بصيغة (الميعاد) الدالة على توكيد زمان الوعد، إذ لم يأت في القرآن الكريم إلا للدلالة على الزمان. (القيسي، 1416 : 192)

سادساً - الانزياح عن التفاعل :

وردت ستة نماذج على هذا النوع من العدول، وقع البحث على ثلاثة منها وهي : العدول عن التبتل إلى التبتيل، والعدول عن التقبل إلى القبول، والعدول عن التقولات إلى الأقاويل، وهذه النماذج تُعبر عن سرّ العدول عن التفاعل إلى غيره من الصيغ غير المقيسة عليه .

1 - الانزياح عن التبتل إلى التبتيل :

قال تعالى مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية البعثة : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (سورة المزمل / 8) .

يلحظ في الآية مجيء ﴿ تَبْتِيلًا ﴾ معدولاً به عن المصدر المقيس للفعل (بتل) وهو (التبتّل)، وقد جاء اختيار هذه العبارة الدقيقة للإشعار بأنّ (التبتّل) وهو الإنقطاع إلى الله بالعبادة، هو المقصود بالذات أولاً، ثم جاء ذكر (التبتّل) وهو التصرف والانشغال بالعبادة ثانياً للإشعار أنه لا بدّ منه ولكنه مقصود بالغرض. (نخر رازي، 1412: 30 / 178) وليس المقصود الإتيان بـ (تبتيلاً)؛ لأن معنى تبتّل بتل نفسه، مراعاةً لحقّ الفواصل. (الطبري، 2002: 19 / 30) ولكن المقصود معنويّ أشار إليه ابن القيم : " ومصدر تبتّل إليه (تبتّل) كالتعلم والتفهم ولكن جاء على (التفعيل) مصدر (فعل) لسرّ لطيف . فإن في هذا الفعل إيذاناً بالتدرّج والتكلف والتعمّل والتكثر والمبالغة . فأتى بالفعل الدال على أحدهما وبالمصدر الدال الآخر فكأنه قيل : بتل نفسك إلى الله تبتيلاً وتبتّل إليه تبتيلاً ففهم المعنيان من الفعل والمصدر". (السامرائي، 1429: 35) وفيه ملحظ تربوي وهو الجمع بين معنى التدرج في صيغة (تبتّل إليه)، والتكثير في صيغة (تبتيلاً) " إذ الأصل أن يتدرج الإنسان من القلّة إلى الكثرة والمعنى أحمل نفسك على التبتّل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكثرة ". (السامرائي، 1428: 35) وهنا تكمن فائدة العدول وهي تضمين معنى الفعلين وذلك عن طريق المجيء بالمصدر معدولاً به عن القياس، " فالسالك إلى الله لا غنى له عن تكلف التبتّل ومحاولته ليحمل نفسه عليه لثقله عليها أول أمره، ولا بد من إكثار التبتّل ومحاولته حتى تعتاده النفس وتطاول له". (هنداوي، 1424: 167).

2 - الانزياح عن التقبّل إلى القبول :

قال تعالى في قصة (مريم) (عليها السلام) : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ (سورة آل عمران / 37) .

وذلك بعد أن نذرت امرأة عمران ما في بطنها لله، وبعد أن وضعتها أنثى قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة آل عمران / 35) .

ويلحظ إخراج المصدر على غير لفظه، إذ القياس (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِتَقَبُّلٍ)، والعرب تأتي بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة. (جامع البيان : 6 / 344) وقد ذكر الزمخشري في (قبول) وجهان : أحدهما أن يكون اسم ما تقبل به الشيء كالسُّعُوط لما يُسْعَطُّ به ، والثاني: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف، أي : فتقبلها بذِي قبول أي بامرٍ ذي قبول، في كلا الوجهين يكون المعنى الاختصاص، وهو : إقامتها مقام الذكر في النذر. (ملا حويش، 1390 : 1 / 357) والصحيح أن (قبول) مصدر (قَبِلَ) وهو مذهب سيبويه في أنَّ هناك خمسة مصادر جاءت على وزن (فَعُول) وهي : قَبُول، وَطْهُور، وَوَضُوء، وَوُقُود، وَوَلُؤْغ . ولكنَّ الراجح أنه عدول عن المصدر المقيس (تَقَبَّلَ) إلى مصدر الثلاثي (قَبِلَ) لإرادة الإشارة إلى معنى صيغتي (تَفَعَّلَ) و (فَعَلَ)، ففي معنى (التفَعَّلَ) دلالة على شدة اعتناء الفاعل بإظهار الفعل، يقال : تصبَّر أي : جَدَّ واجتهد في إظهار الصبر، وكذلك (التَقَبَّلَ) يدل على المبالغة في إظهار القبول. (نفر رازي، 1412 : 8 / 29) قال الرازي : " فإن قيل لِمَ لَمْ يقل : فتقبلها ربُّها بتقبُّلٍ حَسَنٍ حتى تصير المبالغة أكمل ؟ والجواب أن لفظ التَقَبَّلَ وإن أفاد ما ذكرنا إلاَّ أنه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع، أما القبول فإنه يفيد معنى القبول على وفق الطبع، فذكر التَقَبَّلَ ليفيد الجد والمبالغة، ثم ذكر القبول ليفيد أنَّ ذلك ليس خلاف الطبع بل على وفق الطبع، وهذه وإن كانت ممتنعة في حق الله تعالى، إلاَّ أنها تدل من حيث العناية على حصول العناية العظيمة في تربيتها" (نفر رازي، 1412 : 8 / 30) هذا فضلاً عن ما في صيغة (التفَعَّلَ) من معنى التَدَرُّج والتتابع، ففي استعمال صيغة (التفَعَّلَ) : اشعار في معنى التدرج والتطور، والزيادة في كل طور تتطور إليه، فضلاً عن معنى التواصل والتتابع، حتى ظل بركة تحريرها متجدداً لها في نفسها وعائداً بركته على أمِّها حتى ارتقت إلى العلوِّ المحمدي فكانت من أزواجه، ومن يتصل به. (العزاوي، 1424 : 4 / 356) قال أبو السعود : " وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التَقَبَّلَ لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية." (أبي السعود، 1983 : 2 / 20)

3 - الانزياح عن التَقُولَات إلى الأَقَاوِيل :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ﴾ (سورة الحاقة / 44 - 47) .

قال الزمخشري : " التَقَوَّل : افتعال القول، كأنه فيه تكلفاً من المُفْتَعِل، وتسمى المتقولة (أقاويل) تصغيراً لها وتحقيراً، كقولك : الأعاجيب والأضاحيك، كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معالجة بالسخط والانتقام". (ملا حويش، 1390 : 4 / 607؛ نخر رازي، 1412 : 30 / 118) والمقصود بالخطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لو تقوَّل على الله شيئاً من غير القرآن لعاقبه، (ابن عاشور، 1415 : 15 / 80) ومعنى (تَقَوَّل) : تكلف وأتى بقول من قبل نفسه، (القرطبي، 1372 : 18 / 187) أي افتراه "وسمي الاقتراء تقوَّلاً لأنه قول مُتَكَلَّف وكل كاذب يتكلف ما يكذبه"، (صديق حسن خان، 1429 : 14 / 303) ولما كان التَقَوَّل بمعنى (الكذب) عُدِّي بـ (على) . (ابن عاشور، 1415 : 29 / 145)

وأما (الأقاويل) المعدولة عن القياس وهو (التقولات) فقد قيل : إنها جمع الجمع؛ (الأندلسي، 1328 : 8 / 329؛ ونظم الدرر : 20 / 380؛ والتحرير والتنوير : 29 / 145) وهو (أقوال) التي هي جمع (قول)، وقد رجَّح البقاعي " لأنه يلزم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة أقوال" (الغزالي، 1424 : 20 / 380) على اعتبار دلالة (الأقاويل) على الكثرة، قال ابن عاشور : " الأقاويل : جمع أقوال الذي هو جمع قول، أي بعضاً من جنس الأقوال التي هي كثيرة فلكثرتها جيء لها بجمع الجمع الدال على الكثرة، أي : لو نسب إلينا قليلاً من أقوال كثيرة صادقة؛ يعني لو نسب إلينا شيئاً قليلاً لم نُزَلَّه لأخذنا منه باليمين". (ابن عاشور، 1415 : 29 / 145)

وقيل : إنَّ (الأقاويل) جمع (أقولة) على مثال أضحوة مفرد أضاحيك، " وسمي الأقوال المتقولة (أقاويل) تصغيراً لها وتحقيراً"، (ملا حويش، 1390 : 4 / 607) فيكون المعنى : أنه لو نسب إلينا قولاً صغيراً في القرآن لم نُقلِّه، ولم نأذن في قوله لأخذنا منه باليمين، أي بالقوة. (سليمان بن عمر، 1417 : 4 / 403)

نتائج البحث

إن العدول من الظواهر الأسلوبية التي شاعت في اللغة العربية، ووردت الإشارة إليها في مباحث علماء العربية الأقدمين من دون البحث في هذه الظاهرة على نحو منفصل ومحدد، ولقد تبين أنّ دلالات العدول عن أصل تختلف عن دلالات العدول عن القياس؛ إذ لكل نوع منها دلالاته الخاصة به يحتملها طبيعة كل سياق ورد فيه العدول بناءً على المعنى المقصود الذي يُراد تحقيقه في النص القرآني، فأحياناً يراد الجمع بين دلالتَي الصيغتين من خلال المجيء بالفرع عدولاً عن الصيغة الأصل، على نحو المجيء باسم المصدر معدولاً إليه عن المصدر للدلالة على الحدث الذي هو معنى المصدر باللفظ الدال على معنى الحدث الذي هو اسم المصدر فيكون المصدر بذلك جامعاً للمعنيين الحدث واللفظ المسمّى به، وأحياناً أخرى يراد الإشارة إلى دلالة دقيقة تتحقق في الصيغة المعدول إليها على نحو العدول عن المصدر إلى المصدر الميمي الذي يتحقق فيه دلالاته على الحدث مقترناً بعنصر الذات المتلبسة بالحدث، فضلاً عن دلالة جديدة يُرجّحها السياق كالمبالغة ونحوها.

مصادر و ماخذ

- ابن الأنباري، لابی البركات. (2202) في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، القاهرة، مكتبته الخانجي
- ابن الجزري، أبو محمد. (2009) والنشر في القراءات العشر، بيروت، المطبعة التجارية الكبرى
- ابن مالك، محمد بن عبدالله. (1389) شرح الكافية الشافية، بيروت، دارالكتب العلمية
- ابن خالويه، عبد العال سالم مكرم. (1399) والحجة في القراءات السبعة، بيروت، دار الشروق
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1969) التفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر
- ابن عطية، عبدالحق بن غالب. (1380) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، قاهره

- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. (1398) تفسير غريب القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية
- ابن مجاهد، احمد بن موسى. (1429) كتاب السبعة في القراءات، بطنطا، دارالصحابة
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1363ش)، لسان العرب، نشر أدب الحوزه، قم.
- ابو السعود، محمد بن محمد. (1983) تفسير أبي السعود، بيروت، دار احياء التراث العربي
- ابوحيان، محمد بن يوسف. (1420) البحر المحيط، رياض، مكتبة الرشد
- احمد مختار، عمر عبدالعال سالم مكرم. (1412) معجم القراءات القرآنية، تهران، اسوه
- الأخفش، سعيد بن مسعدة. (1422) معاني القرآن، بيروت، دارالكتب العلمية
- ألوسي، محمود بن عبدالله. (1997) روح المعاني، بيروت، دارالكتب العلمية
- الأندلسي، أبو حيان (1328) البحر المحيط النهر الماد لأبي حيان، مصر، مطبعة السعادة
- البابى، المصطفى. (1330). تفسير البيضاوي وبهامشه حاشية الكازروني، مصر، دار الكتب العربية الكبرى
- بيضاوي، عبدالله بن عمر. (1409) الفتح السماوي بترجيح احاديث تفسير القاضي البيضاوي، رياض، دار العصمة
- الجرجاني، علي بن محمد. (1998) التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان.
- الدمياطي البناء، أحمد بن محمد. (1407) واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد. (1412) المفردات الفاظ القرآن في غريب القرآن، تهران، مرتضوى
- سامرائي، فاضل صالح. (1429) التعبير القرآني، قم، موسسه العطار الثقافيه
- السامرائي، فاضل صالح. (1428) معاني الأبنية في العربية، بيروت، دارعمار

- سامرائي، فاضل (2002م)، معاني النحو، بغداد، جامعة بغداد
- سليمان بن عمر بن منصور. (1417) حاشية الجمل على شرح المنهج، بيروت، دارالكتاب
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (1422) أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية
- صديق حسن خان، محمد صديق بن حسن. (1429) فتح البيان في مقاصد القرآن، بغداد، دار الكتاب العربي
- ضاحي عبد الباقي. (2008) شرح ديوان رؤية بن العجاج، قاهره، إدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث
- طبري، محمد بن جرير (2002) جامع البيان، بيروت، دارالمعرفة
- عبد القادر الرازي، محمد بن أبي بكر بن. (1953) مختار الصحاح، دمشق، دار الفيحاء ودار المنهل
- الغزوي، خالد حمودي محي. (1424) الاساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الايات و السور، بغداد، كلية التربية
- نفر رازي، محمد بن عمر. (1415). التفسير الكبير، بيروت، دار احياء التراث العربي
- الفراء، يحيى بن زياد. (2010) معاني القرآن للفراء، مصر، دارالمصرية للتأليف والترجمة
- فراهيدي، خليل بن احمد. (1410). كتاب العين، تهران، هجرت
- القرطبي، محمد بن احمد. (1372) الجامع لأحكام القرآن، قم، نشر ادب
- القيسي، عودة الله منيع. (1416) سرالاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، دار البشير، مؤسسة الرسالة
- المالكي الخلوئي، أحمد بن محمد. (1421) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، المدينة، الحجر
- ملا حويش، عمر. (1390) البلاغة في تفسير الكشاف، بغداد، وزارة التربية والتعليم

نسفي، عبدالله بن احمد. (1408) تفسير النسفي، بيروت، دارالكتاب العربي
النيسابوري، محمد بن حسين. (1416) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت، دار الكتب العلمية
هلال. علي محمود، (2000). اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم، رسالة
ماجستير تقدم بها هلال علي محمود إلى كلية الآداب - جامعة الموصل
هنداوى، عبد الحميد. (1424) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، بيروت، المكتبة العصرية

